المحاضرة الأولى : مدخل إلى تاريخ الجزائر الثقافي
تقديم الدكتور : عبد المالك صاولي
السنة أولى ماستر-سمعي بصري+الصحافة المطبوعة
المقياس : تاريخ الجزائر الثقافي
العام الجامعي : 2023/2022

تمهيد :

التاريخ بالمفهوم العلمي هو دراسة الأحداث في الزمن الماضي ، سواء تعلق الأمر بتاريخ الأشخاص أو تاريخ الدول والأمم ، كما يمكن أن يتخصص ذلك في مختلف مجالات الحياة ، الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية ، ونختار من ذلك الجانب الثقافي ، الذي يرتبط بالحياة الثقافية لأمة من الأمم ، في عاداتها وتقاليدها ، في لباسها ومأكلها ومشربها ، واللغة المستعملة في ذلك ، وكيفية التصدي للتيارات الوافدة عليها والمستهدفة لموروثها الحضاري ، وأبرز الشخصيات المؤثرة في مجتمعها ، والمنظومة الثقافية الممثلة لواجهتها ، كل هذا وغيره في هذا الإطار هو ما سنتناوله بالسرد والتحليل في هذا المحتوى – تاريخ الجزائر الثقافي-

أولا : التاريخ :

تاريخ الشيء في اللغة : يعني وقته وغايته ومعنى كلمة : التأريخ –بالهمزة- تحديد تاريخ الشيء ، وهو علم يبحث في الوقائع والاحداث الماضية – كما يبحث في تسجيل الحقائق و البحث في تراتيبها ، كما يبحث في تسلسلها مرحلة بمرحلة وحدثا بحدث ، وبهذا يرتبط التاريخ بالأحداث أي بالديناميكية الديالكتيكية – كما يقول سارتر (جون بول سارتر) ، وهذا يعني وضع التجارب الانسانية على المحك الديالكتيكي لتوليد التاريخ وصناعته ، ومثل هذا الرأي يجعل الشعوب التي لا تاريخ لها في خانة (البشرية المشوهة وعديمة النمو).

وبهذا عرف ابن خلدون التاريخ بأنه :"خبر الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات ، واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (المقدمة ص57)

وعرفه كلود لفيس تروس:"التاريخ هو مجموعة منقطعة مؤلفة من حقبات تاريخية يتميز كل منها بتواتر(تردد) خاص ، وبترميز تفاضلي لما قبل وبعد"

وبهذا فلو اقتصر الباحث في التاريخ على تمحيص الأخبار ونقد الوثائق والآثار كان تاريخه انتقاديا .

- أما لو اهتم باستنباط القيم والمبادئ كان تاريخه أخلاقيا.

- وإذا اهتم بالأحداث السياسية كان تاريخه سياسيا.

- ولو اهتم بتعليل الأحداث والوقائع كان تاريخه فلسفيا .

- أما لو اهتم بالموروث الثقافي والعادات والتقاليد كان تاريخه ثقافيا.

ولعل أشهر كتاب تناول تاريخ الجزائر من هذه الناحية : تاريخ الجزائر الثقافي لمؤلفه : الدكتور ابو القاسم سعد الله؟

وما دمنا قلنا بأن التاريخ الثقافي لشعب من الشعوب : بأنه دراسة ثقافة معينة في الماضي ، وماضي الجزائر يمتد إلى ما قبل التاريخ ، حيث تعاقبت على هذا البلد شعوب كثيرة إضافة إلى السكان الأصليين البربر باجماع المؤرخين فقد تعاقب عليه الفينيقيين والرومان والروم البيزنطيين والوندال ، ثم العرب بعد الفتح الاسلامي إلى التواجد العثماني ثم الاستعمار الفرنسي ، وظل هذا الشعب مقاوما للغزاة متعاونا مع بعض الحضارات ، محافظا على هويته إلى يومنا هذا ، ولكن مهما يكن من أمر فهناك تأثير وتأثر حصل خلال هذه الفترات ،سيما من الزاوية الثقافية على اعتبار أن الثقافة لا حدود لها ، وفقا لنظرية ابن خلدون أن المغلوب مولع باتباع الغالب ، وخاصة اذا كان الغالب يملك حضارة وثقافة قوية ، وهذا ما حصل للمجتمع الجزائري ويحصل له مثل سائر الشعوب في هذا العصر ، بما يعبر عنه بالعولمة الثقافية. .

وبهذا يمكن القول أن الجزائر لم تعرف استقرارا ثقافيا ، ففي كل مرة تضيف إلى قاموسها اللغوي والثقافي مفاهيم جديدة ، كما قاموا أيضا بتصدير ثقافي للشعوب الأخرى سواء المستعمرة أو التي بقيت إلى يومنا هذا ، فقد حصل أن تعرب الكثير من الأمازيغ وتمزغ الكثير من العرب ، وبقي الإسلام هو الرابط بينهم .

ويستعمل العلماء التاريخ على نحوين:

الاول:يستعمل ويراد به طريقة التعامل مع هذه المادة.

الثاني : التاريخ المونوغرافي: هو الدراسة التاريخية الحديثة لموضوع محدد من المواضيع ، محدد مكانيا وزمانيا ، وتسعى إلى الانتقال من دراسة الأحداث السياسية والعسكرية إلى دراسة البنى الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية عن طريق الاستعانة بالحقول المعرفية الأخرى ، كعلم الاجتماع والاقتصاد والأنتروبولوجيا، وإلى هنا نجد لكلمة تاريخ عدة معاني:

1/سير الزمن والأحداث (أي التطور التاريخي مثل التاريخ الإسلامي).

2/تاريخ الرجال والسيرة الشخصية.

3/عملية التدوين التاريخي وتحليله.

4/علم التاريخ والمعرفة وكتب التاريخ.

5/تحديد زمن الواقعة أو الحادثة باليوم والشهر والسنة.

أهم الحقب التاريخية:

مقسم الى قسمين رئيسين:

1- مرحلة ما قبل التاريخ(العصور الحجرية) 2- المرحلة التاريخية(العصور التاريخية)

1*العصور الحجرية: تشمل حقبة طويلة من الزمن من ظهور أول انسان على وجه الأرض إلى فترة ظهور الكتابة حوالي سنة 3200 ق.م ، ويعرف العلماء هذه الفترة بالهياكل والجماجم...والأدوات الحجرية التي يستعملونها.

-وقسم العلماء مرحلة ما قبل التاريخ إلى عدة عصور :

1/العصر الحجري القديم 2/ العصر الحجري الوسيط

3/العصر الحجري الحديث 4/ العصر المعدني(النحاسي البرونزي الحديدي)

2*المرحلة التاريخية(العصور التاريخية):

تبدأ من سنة 3200 ق.م وهو تاريخ اختراع الكتابة إلى يومنا هذا ويقسم العلماء المرحلة التاريخية إلى :

1-التاريخ القديم(3200ق.م-476م) سقوط روما على يد الجرمان.

2-التاريخ الوسيط(476م-1453م) سقوط روما إلى فتح القسطنطينية.

3-التاريخ الحديث(1453م الى 1789) الثورة الفرنسية.

4- التاريخ المعاصر (1789الى يومنا هذا).

وخلال هذه الفترات سنركز على النشاط الانساني وتفاعله مع الظواهر الطبيعية والكونية على اعتبار أن هذا التفاعل يعد تاريخا أيضا.

لذلك عرف سيد قطب التاريخ: مجموع الأحداث التي حدثت في مكان معين لفرد أو جماعة أو حضارة ، أو حتى ظاهرة من الظواهر الطبيعية كقولنا تاريخ الكون.

ثانيا : الثقافة :

لغة: **تعني صقل النفس والمنطق والفطانة ، وفي القاموس المحيط : ثقف ثقفا وثقافة صار حاذقا خفيفا فطنا ،وثقفه تثقيفا : سواه يقال ثقفت الرمح : أي سويته وقومته.**

اصطلاحا: **هي ذلك الكم المعرفي والسلوكي المتطور والتراكمي الذي استمر ، وواكب مختلف الفترات التاريخية ، فهي ليست وليدة عقد من العقود ، أو عصر من العصور ، بل ميراث بشري لا يحق لأحد الاستحواذ عليه لأنه يتعلق بمنجزات البشرية ، من تراكم مختلف الآراء والقيم والمواقف والرموز التي تحكم سلوك الجماعة المتجانسة وتنتقل من جيل إلى جيل ، ولها ارتباط بالعادات والتقاليد فهي :**

1-سلوك مكتسب 2- سلوك مشترك 3- سلوك متكامل

مع انه توجد عوامل تؤثر في الموروث الثقافي فتسبب اختلاف في الثقافة ويرتبط ذلك ب:

1-الزمن 2- الطقوس الدينية 3- المناسبات 4- طبيعة المجتمع.

واستعملت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقي الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات ، فهي بهذا كل مركب من مجموع المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات ، وتستعمل عموما في أحد ثلاث مفاهيم :

1/ التذوق المتميز للفنون الجميلة والعلوم الانسانية وهو ما يعرف بالثقافة عالية المستوى .

2/ نمط متكامل من المعرفة البشرية ، و الاعتقاد والسلوك الذي يعتمد على القدرة على التفكير الرمزي والتعليم الاجتماعي.

3/مجموعة من الاتجاهات المشتركة والقيم والأهداف والممارسات التي تميز مؤسسة أو منظمة أو جماعة ما.

ظهر مفهوم الثقافة في البداية في اوروبا في القرنين 18 و 19 وهو يشير إلى عملية الاستصلاح أو تحسين المستوى وتعديل المهارات الفردية للانسان ، سيما من خلال التربية والتعليم ، ومن ثم تحقيق قدر من التنمية العقلية والروحية للانسان ، و أصل الكلمة من الزراعة ، agriculture ، فأصبحت الكلمة تستخدم لتعبر عن زراعة الأفكار والقيم.

اما كلمة مدنية civilisationمشتقة من كلمة civisتعني باللاتينية المواطن في صورة سلوكية معينة .

وبصفة دقيقة : ذهب البعض للتفريق بين الثقافة والحضارة .

-فاعتبروا الثقافة مرتبطة بالجوانب المعنوية والسلوكية (فردا او جماعة).

-اما الحضارة فترتبط بالجوانب المادية من انجازات وبنية تحتية التي تتوارث كهياكل.

- وتأتي المدنية كمفهوم دقيق لتعبر عن الصفات الفاضلة التي تغمر تصرفات الأفراد والمجتمع ، وبهذا يمكن اعتبار الثقافة أعم لأنها تراكمية معرفية تمتد في اغوار التاريخ ، بينما الحضارة مظاهر مادية لشعب من الشعوب ، وقد يكون امتدادها محدود ، و لا يمتد في عمق التاريخ .

بينما المدنية صفات تطغى على مجموعة بشرية في زمن معين مما يعبر عن تقدمهم ، فالثقافة لها جوانب مادية ومعنوية ، بينما الحضارة لها جوانب مادية وتبقى المدنية صفات.

اهم خصائص الثقافة :

1/الثقافة نتاج اجتماعي انساني : فلا ثقافة بلا انسان يتفاعل مع الأحداث والبشر.

2/الثقافة ظاهرة تكيفية : مع الأحداث المختلفة ، فالفيضانات والزلازل والجفاف ...ظواهر طبيعية ،ولكن كيف تفاعل معها البشر – تراكم ثقافي-

3/ الثقافة مكتسبة وقابلة للتعلم.

4/الثقافة مستمرة عبر الزمن.

5/تناسب الثقافة مع البيئة المحيطة بالانسان.

6/تشمل الثقافة مظاهر الانفعال والأفكار والمشاعر التي يعبر عليها الانسان .

7/الثقافة ميراث اجتماعي لا يمكن لأحد السيطرة عليه .

8/الثقافة مثالية وواقعية.

9/الثقافة سلوك وتفاعل اجتماعي بين الافراد .

الهوية الثقافية :

_ الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم : هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة في تميز حضارة هذه الامة عن غيرها من الحضارات ، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى .

_ التفرد الثقافي: بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وقيم ونظرة الى الكون والحياة ، بما يميز أمة عن أمة ، بكل ما تحمله من قيم وعادات وسلوكيات ، وتتحدد الهوية الثقافية في مجموعة من المقومات الأساسية المتجسدة في:

1-اللغة الوطنية واللهجات المحلية المرتبطة بوجود الشعب وتطور مصيره على أساس أن تكون اللغة الوطنية معتمدة في التدريس على جميع المستويات في التسيير الاداري وفي القضاء ، إضافة إلى التواصل بين شرائح المجتمع الى جانب اللهجات المحلية .

2-القيم الدينية و الوطنية المتكونة عبر العصور ، والتي تكسب الشعب حامل الهوية حصانة تحول دون ذوبانه في شعوب اخرى ، وتؤهله لمقاومة كل محاولات التذويب مهما كان مصدرها.

3-العادات والتقاليد و الأعراف النابعة عن تلك القيم الحاملة لها ، والعاكسة لمستوى الشعب حامل الهوية في الجانب الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي والسياسي.
4-التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب حامل الهوية من أجل المحافظة على هويته وقيمه وعاداته وتقاليده وأعرافه.
أما الهوية : فتشير إلى ما يكون به الشيء (هوهو) ، أي من حيث شخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره ، فهو ما يحفظ كيان الشيء في ذاته بما يضمن :
1-استمرار تاريخ الامة.
2-تحقيق التجانس والانسجام بين السكان.
3-تمثل الهوية الجنسية والشخصية الوطنية التي تحافظ على صورة الامة أمام الأمم الأخرى ، من خلال الحفاظ على الكيان.

***الحداثة*:**

يؤكد بعض المؤرخين أن بداية الحداثة بدأت عام 1436 باختراع غوتنبيرغ للطباعة ، والبعض يراها سنة 1520 مع الثورة اللوثرية ضد سلطة الكنيسة ، واليوم يربطها البعض بالثورة الفرنسية 1789 أو الثورة الامريكية1776.

يرى البعض أنها حركة مسيحية مطالبة بتحديث المعتقدات والعقائد التقليدية ، بما يتناسب والتفسيرات الحديثة لكتابه المقدس .

ويرى آخرون أنها : تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل ، وملامح نسق اصطناعي منظم وآمن ، وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات .

ويرى آخرون: أنها نسق من الإنقطاعات التاريخية عبر المراحل السابقة ، حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي والكنسي.